من غير تريث وكما يرد عليهم امر كان المامور به مفعولا لا حبس ولا ابطاء والبلع
عبارة عن النشف والاقلاع الامساك يقال اقلع المطر واقلعت الحمى وغيض
الماء من غاضه اذا انقصه وقضي الامر وانجز ما وعد الله نوحا من هلاك قومه
واستوت واستقرت السفينة على الجودي وهو جبل بالموصل
وقيل بعدا يقال بعد بعدا وبعدا اذا اراد والبعد البعيد من حيث الهلاك والموت
ونحو ذلك ولذلك اختص بدعاء السوء ومجيء اخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلال
والكبرياء وان تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وان
فاعلها فاعل واحد لا يشارك في افعاله فلا يذهب الوهم الى ان يقول غيره يا ارض ابلعي ماءك
ويا سماء اقلعي ولا ان يقضي ذلك الامر الهائل غيره ولا ان تستوي السفينة على متن الجودي
وتستقر عليه الا بتسويته واقراره ولما ذكرنا من المعاني والنكت استفصح علماء
البيان هذه الاية ورقصوا لها رؤوسهم لا لتجانس الكلمتين وهما قوله ابلعي واقلعي وذلك
وان كان لا يخلي الكلام من حسن فهو كغير الملتفت اليه بازاء تلك المحاسن التي هي اللب
وما عداها قشور وعن قتادة استقلت بهم السفينة لعشر خلون من رجب وكانت
في الماء خمسين ومائة يوم واستقرت بهم على الجودي شهرا وهبط بهم يوم عاشورا وروي
انها مرت بالبيت فطافت به سبعا وقد اعتقه الله من الغرق وروي ان نوحا عليه السلام
صام يوم الهبوط وامر من معه فصاموا شكرا لله تعالى نداؤه ربه دعاؤه له
وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضاء وعده في تنجية اهله فان قلت فاذا
كان النداء هو قوله رب فكيف عطف فقال رب على نادى بالفاء قلت
اريد بالنداء ارادة النداء ولو اريد النداء نفسه لجاء كما جاء قوله اذ نادى ربه نداء خفيا
قال رب بغير فاء ان ابني من اهلي اي بعض اهلي لانه كان ابنه من صلبه او كان
ربيبا له فهو بعض اهله وان وعدك الحق وان كل وعد تعده فهو الحق الثابت

الذي لا شك في انجازه والوفاء به وقد وعدتني ان تنجي اهلي فما باله وانت
احكم الحاكمين اي اعلم الحكام واعدلهم لانه لا فضل لحاكم على غيره
الا بالعلم والعدل ورب غريق في الجهل والجور من متقلدي الحكومة في زمانك قد لقب اقضى
القضاة ومعناه احكم الحاكمين فاعتبر واستعبر ويجوز ان يكون من الحكمة على ان يبنى
من الحكمة حاكم بمعنى النسبة كما قيل دارع من الدرع وحائض وطالق على مذهب الخليل انه
عمل غير صالح تعليل لانتفاء كونه من اهله وفيه ايذان بان قرابة الدين غامرة
لقرابة النسب وان نسيبك في دينك ومعتقدك من الاباعد في المنصب وان كان حبشيا
وكنت قرشيا لصيقك وخصيصك ومن لم يكن على دينك وان كان امس اقاربك رحما
فهو ابعد بعيد منك وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة في ذمه كقولها فانما هي اقبال
وادبار وقيل الضمير لنداء نوح عليه السلام اي ان نداءك هذا عمل غير صالح وليس بذاك
فان قلت فهلا قيل انه عمل فاسد قلت لما نفاه عن اهله نفى
عنه صفتهم بكلمة النفي التي يستبقى معها لفظ المنفي وآذن بذلك انه انما انجى من
انجى من اهله لصلاحهم لا لانهم اهلك واقاربك وان هذا لما انتفى عنه الصلاح لم
تنفعه ابوتك كقوله كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما
من الله شيئا وقرئ عمل غير صالح اي عمل عملا غير صالح وقرئ فلا تسألن بكسر النون
بغير ياء الاضافة وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء يعني فلا تلتمس مني ملتمسا او
التماسا لا تعلم اصواب هو ام غير صواب حتى تقف على كنهه وذكر المسألة
دليل على ان النداء كان قبل ان يغرق حين خاف عليه فان قلت لم سمي نداؤه سؤالا
ولا سؤال فيه قلت قد تضمن دعاؤه معنى السؤال وان لم يصرح به لانه
ذكر الموعد بنجاة اهله في وقت مشارفة ولده الغرق فقد استنجز وجعل سؤال
ما لا يعرف كنهه جهلا وغباوة ووعظه ان لا يعود اليه والى امثاله من افعال الجاهلين

Copyright © King Saud University